

## الإلحاد الواسطي والتدين الواسطي ذهبا مع الريح، كل في طريق

العالمي للفتوى الإلكترونية، في مارس 2019، عن إنشاء وحدة اسمها «بيان»، لمواجهة الإلحاد والفكر اللاهوتي، وتحليل الشبهات والرد عليها بأسلوب علمي شرعي، والتواصل لثقافة دينية تركز على الفهم الصحيح ونشر الوعي بين أطراف المجتمع لاسيما الشباب، ومد جسور التواصل لبناء جيل يعي متطلبات وطنه وأمتة، قادر على تحقيق آماله وطموحاته... وتأسيس منهج معرفي وتقوية المناعة الفكرية لدى الشباب للحد من الوقوع في براثن الإلحاد، كما تقدم (الوحدة) محتويات علمية تدعم هذه المعالجات من خلال الحملات الإلكترونية والإعلامية المشاهدة والمسموعة والمقروءة.. لا خوف على الإسلام، وعلى أي دين، من الإلحاد. حتى الإلحاد الانفعالي غير الواسطي، الذي يتبناه مراهقون يستهدفون الأديان بغية، أتفه من أن يمس جوهر الدين أو يؤدي المؤمنين.

في المجتمعات السوية لا يسأل إيطالي: هل اعتنق روبرتو باجيو البوذية؟ ولا يسأل أميركي عن ديانة رامي مالك، وأبو هذا الأميركي لم يشعر بهزيمة المسيحية حين تحول كاسيوس (محمد علي) كلاي إلى الإسلام

وليس بين الملحدين والعلمانيين دعاة إلى ازدياد أي دين، وتصفيته معتقته، في حين انطلقت أغلب دعوات التحريض على الدم من رجال دين، باسم الدين أفتى عمر عبدالرحمن الأستاذ بجامعة الأزهر بكفر الرئيس المصري الأسبق أنور السادات، واكتملت دائرة الشر باغتياله. وأباح أزهرى آخر دم فرج فودة، ثم سوغ الأزهرى محمد الغزالي للقاتل أبو العلاء عبدربه جريمته، واستراح لإسهامه في إقامة «الحدود عند تعطيلها، وإن كان في هذا أفتئات على حق السلطة، ولكن ليس عليه عقوبة».

وبعد وصول الإخوان إلى الحكم أفرجوا عن عبدربه الذي رفض الاعتذار، وقال في التلفزيون إنه أقيم الشرع، بعد تكفير «العلماء» لقتل لم يكن القاتل بحاجة إلى استنابته، كما لم يستتب شكري بلعيد الذي صدر أمام حشد سلفي تهديد بقتله، وتم تنفيذه في 6 فبراير 2013.

قتل 46 شخصا وإصابة 125 في تفجير كنيسة في طنطا والإسكندرية في أحد السعف (9 أبريل 2017)، أفتى الأزهرى يوسف القرضاوي رئيس ما يسمى بالاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، في قناة الجزيرة، بجواز تفجير المسلم لنفسه، على حدود ما تربيده الجماعة.

تسلم نفس الجماعة، والجماعة هي التي صرف الأفراد حسب حاجاتها، في المجتمعات السوية لا يسأل إيطالي: هل اعتنق روبرتو باجيو البوذية؟ ولا يسأل أميركي عن ديانة رامي مالك، وأبو هذا الأميركي لم يشعر بهزيمة المسيحية حين تحول كاسيوس (محمد علي) كلاي إلى الإسلام. وفي عام 1946 لم تحلق الصحافة المصرية على إسلام ليلي مراد، ولم تتغير وتيرة حياتها وعلاقتها المهنية والعائلية. والآن يجرو مشايخ منزعو الذوق على القول «وجه المرأة مثل فرجها»، ويرهبون ممثلة استغنت عن غطاء الرأس، وكانت تعطي شعرها بشعر مستعار، اغتيال معنوي يمارسه أوصياء على الدين استوت عقولهم الثقيلة في أكثر من 15 ألف معهد أزهرى والعشرات من الجمعيات السلفية، في دولة تصنف الثانية عالميا في التحرش بالنساء.

لكي لا تتور بضاعة هذه الجيوش من الخريجين بخلق لهم طلب دائم، ولو في الافتاء بتكفير المنتحر، فقدنفه مشاعر اهله وزملائه وأحبته. يبخل التجار برحمة الله، ويكفرون الضحية، ويصوتون على إدانة السباق السياسي والاجتماعي الفاسد. في الحجاز الآن، تتور بضاعة مشايخ أفوا أعمارهم جهادا في سبيل تحريم كروية الأرض.

سعد القرش  
روائي مصري

لا يُعلن عن الميزانية المرصودة في مصر لمكافحة الإلحاد، ويرتبط الإلحاد على هذه القضية باستنفار دعوي مدعوم بأموال تكفي لرفع الكفاءة الصحية السيئة لمستشفيات حكومية لو خرج منها المريض الفقير ناجيا من الموت، فلن يتردد في الكفر بالفقر وانتقاء العدل، ويصبح ملحدا فطريا يفقد إلى وعي من يلحد بعد مروره بمسحة البحث، واطمئنائه بالإلحاد وسطي لا يعادي فيه مؤمنا، بل يستعد لحمايته والدفاع عنه.

الإيمان الحق محلله القلب، أما المبالغة في إظهار التدين فهي من مظاهر النفاق الاجتماعي. الإيمان والإلحاد كلاهما ينتهي إلى شيء من راحة القلب والسلام النفسي والتصالح مع العالم، قبل الابتلاء في الأونة الأخيرة بملحدين مراهقين يستمرئون التباهي بالعداء للدين، والإجترأ على الذات الإلهية، والاستهزاء بالأديان والسخرية من معتنقيها. واطن هؤلاء مشكوكا في إلحادهم، غير مطمئنين ويحاولون إخفاء شكوكهم باستناب الهجوم على المتدينين؛ لتعطيلهم عن دك حصون الملحدين غير المؤسسة على قواعد راسخة.

وفي المقابل فإن من يطمئن قلبه بالإيمان لا يخاف على دينه من الافتتان بالملحد، أيًا كانت أعدادهم واشتطتهم. وفي الملاذات الغربية للمسلمين الهاربين من ديار الإسلام، لم تسجل حالات ردة بسبب الحريات الشخصية المكفولة للجميع، ومنهم الملحدين والمثليون وعبدة النار وعبدة اللاشيء، ومن لا يعينهم أن يكون للكون إله. ولكن ديار الإسلام لا تحتمل حالات فريدة من هؤلاء، وتتواطأ السلطان السياسية والدينية على النفي العام؛ لإشغال الناس عن نيل حقوقهم الإنسانية، بحجة أولوية الدفاع عن الله. وتتواصل الخطب على منابر المساجد والفضائيات ومضات الإفتاء الإلكترونية التفاعلية

بالتحذير من الإلحاد، بخطاب أشبه بإعلان حرب وهمية؛ فالؤمن المطمئن بالإيمان لا يشغله انتشار الإلحاد. كما يفترض في الملحد الحق ألا تزعه زيادة أعداد معتنقي هذا الدين أو ذاك.

لكن الوقائع تذهب في اتجاه آخر. في أكتوبر 2014، بعد نشر تقرير عن وصول أعداد الملحدين في مصر إلى مليونين، تحمست الحكومة ممثلة وزيرها، وزير الشباب والرياضة «المهندس» خالد عبدالعزيز، لإطلاق حملة قومية بالاستعانة بخبراء في علوم النفس والاجتماع والسياسة والطب النفسي، لمكافحة ظاهرة انتشار الإلحاد. وحذر الأزهر على لسان شيخه الدكتور أحمد الطيب من انتشار الإلحاد، بالتزامن مع تنظيم مجلس الكنائس المصرية مؤتمرا للشباب لمناقشة الإلحاد، ومطالبة البعض من رجال الدين بتتبع يمنع نشر العلمانية وهي كلمة سيئة السمعة، ويربط الخطاب السلفي بينها وبين الانحلال الأخلاقي، كان يكرها يبتلع الوضوء والصيام، ويطبق الألسنة السلفية بالتحريض والاحتقار والاستعلاء، زاعمين أنها تعني التعري، ونزع الحجاب، وإباحة اللواط والسحاق. ولا ندري كيف يستوثق إنسان من وقوع الأمر الأخير، لكي يتخذ إجراء قانونيا أيا كانت شرعيته الدينية أو الإلهية؛ وإذا ارتضى مواطن لنفسه سلوكا شخصيا لا يضر أحدا، فلماذا الهوس بإشهار سلاح التكفير، واستعداد البسطاء؟

لا يخشى الأوسياء من ملايين المسلمين في أوروبا أوهام الأخطار الإلحادية والعلمانية، وتظل الشكوى هناك من صعود الهوس العلمانية الكاره لمن وما هو إسلامي. وكما تقتصر أنشطة الجن، في مقاسمة البشر طعامهم ونساءهم، على المسلمين في العالم العربي، فلا تنمو للإلحاد والعلمانية شروط إلا في هذه الجغرافيا البائسة، الأرض الخصبة لإنبات السراب، ولا أثر على الأقليات المسلمة في أوروبا من قبض مظاهر الإلحاد والعلمانية، ولكنهما في ديار الإسلام مصدر الكوارث على أغلبية ساحقة منسقة من المسلمين، بل دليل إعلان مركز الأزهر

## المفهوم الجهادي و«النهى عن المنكر»: فهم قتالي لدى المتطرفين ينسف التعايش

الأصوليون حادوا بالمبدأ من اتساع المعنى القرآني إلى ضيق التشدد



جماعات كرسست المعنى العنيف لمفاهيم الإسلام

ومعاصره، وارتباطه بمسارات أدلجة لم تكن في بعض وجوهها وفيه لاتساع المتاح التأويلي في القرآن، كما هو الحال مع الجماعات الإسلامية المتطرفة.

### قراءة تاريخية

من هذا المنظور الساعي إلى إيجاد المدخل الرئيس لاستعادة الحق في التأويل، يتصدى الباحثون المشاركون في الكتاب «هدى بحرون، عفاف مطيراوي، جمال اشطبية، محمد سويلمي، صالح الاحمدي، عبدالباسط القمودي، محمد عبده أبو العلاء»، لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انطلاقا من بيان مدى ارتباط الفهم المتطرف لهذا المبدأ بقراءة تاريخية محفوفة بقبلياتها الكامنة في الذاكرة والوعي معا.

لكن هذا التضييق في تأويل المبدأ ترفضه هدى بحرون من خلال بحثها «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن والسنة»، مقدمة فهما إيجابيا ينصق لقيم السلام الكوني والمواطنة المعاصرة، باعتماد منهج جمع بين الأنتروبولوجيا والدراسة المقارنة والبحث المعجمي والاصطلاحي، فهما يؤكد أن دلالة هذا المبدأ في القرآن والسنة لم تخرج عن التوجه التوحيدي العام للتوحيد الإبراهيمي نحو تحقيق السلام الإنساني.

وبهذا المنظور عينه، ولكن بمنهج دراسة المتخيل البشري التي تقدر بان الأفكار والاعتقادات تنبئ تراكما في المتخيل أولا، ذهبت الباحثة عفاف مطيراوي في بحثها «مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المتخيل الإسلامي» إلى أن المفهوم في أصله تعبير عن قيمتين إنسانيتين أصيلتين هما الخير والشر، وأن الإسلام هو الذي قبض عليهما دون سائر الأديان ليحولهما إلى فريضة دينية تؤسس للجهاد في سبيل الله.

وحاولت من هذا المنطلق، فهم تشكّل هذا الواجب في المتخيل الإسلامي، فبحثت في جذوره والآليات التي أنتجته، ووظائفه، ورمزياته. واستعان الباحث جمال اشطبية، بواحد من أساطين الفكر القاصدي، المثقف والسياسي المغربي علال الفاسي، للاستدلال على ضرورة إعادة هذا المفهوم إلى سياقه الديني العام الأصلي، الذي تتابعت الرسائل والديانات على تشييده.

واهتم الكتاب بالأدلجة السياسية الكامنة في التأويل الجهادي لهذا المفهوم، عبر تربية ارتباطاته بالمفاهيم السياسية الأساسية للإسلام السياسي، من قبيل الحاكمية، والجاهلية. وفي بحثه المتميز «تشكّل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من التوصيف إلى التوظيف»، وأقر ذلك في نشأة التطرف الديني بين صالح أحدى الكيفية التي تم بها من خلال التراث الفقهي والتفسيري تشكيل هذا المبدأ ضمن ثنائية ضدية تقابل بالضرورة بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولهذا سعى إلى تحريره من

يعد مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واحدا من أبرز المبادئ الإسلامية، لذلك احتفى به الموروث الفقهي والكلامي القديم أيضا احتفاء. ولئن أبقى الفكر الإسلامي القديم تأويل هذا المبدأ مفتوحا، فإن منظري التيارات الأصولية المعاصرة، سعوا باعتماد قراءة تاريخية قاصرة إلى الابتعاد به من اتساع المعنى القرآني إلى ضيق الدعوة القائمة على فكرة الحقيقة الواحدة وهم امتلاكها.

وتحول هذا المبدأ من واجب أخلاقي عام إلى فريضة، ثم إلى أساس من أسس العقيدة والإيمان عند المعتزلة، وإلى مؤسسة سياسية تضطلع بها الدولة حسيبة وجاهدا.

ولئن أبقى الفكر الإسلامي القديم تأويل هذا المبدأ مفتوحا على إمكانات الفهم المختلفة في سياق جدل الرؤى المفسرة للآيات والأحاديث المتصلة ليصيره مبدأ أخلاقيا وفقهيا مرتبطا بالشرعية، ووظيفة منوطة بالمجتمع والدولة.

ورات مجموعة الباحثين العرب الذين شاركوا في كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. الإعلام والنصوص»، الصادر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود، أن التأويل الجهادي الرأهن لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ارتبط بلحظة عنيفة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.

### خلخة المبدأ

هذه اللحظة أفقدت المبدأ أبعادها العقائدية التي طورها المعتزلة، والفقهاء التي أدامها الفقهاء لشروط الماسسة السياسية والسلوك الاجتماعي، والأخلاقية التي حوسبها أخلاقيو الإسلام كمسكويه والنوحيدي والماوردي. بل أدرجه في أتون حرب كونيّة تحول فيها إلى «عنوان للعو» بفعل تعريف اصطلاحى مضيق جديد للعبارة، إلى كل من لم يدخل ضمن المجال الذي تعينه دار الإسلام.

أنس الطريقي  
الموقف الجهادي  
يصدر من فراغ

وانطلاقا من ابن تيمية المصدر المشترك لكل الجهاديين تقريبا، لاسيما بكتابه «الحسبية في الإسلام»، و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، إلى عبدالقادر بن عبدالعزيز «صاحب رسالة العمدة»، لم يتوقف التطبيق الجهادي لهذا المبدأ على تأويلاته النظرية الكبرى منذ سيد قطب وصولا إلى أي مصعب السوري، مروراً بعبدالله عزام، وإنما تحول هذا الموقف العنيف إلى حالة منغلقة دون مرجع إحالة معروف في الكثير من الأحيان.

ورأى أنس الطريقي الذي أعد وقدم الكتاب أن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واحد من أبرز المبادئ الإسلامية؛ لذلك احتفى به الموروث الفقهي والكلامي القديم أيضا احتفاء.

محمد الحامصي  
كاتب مصري



تعيّن المتابعة التاريخية لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن خلاصته الراهنة حصيللة تأويلية جرت على غير المنوال التأويلي الإسلامي القديم الذي استخرج هذا المبدأ من القرآن والحديث ليصيره مبدأ أخلاقيا وفقهيا مرتبطا بالشرعية، ووظيفة منوطة بالمجتمع والدولة.

ورأت مجموعة الباحثين العرب الذين شاركوا في كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. الإعلام والنصوص»، الصادر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود، أن التأويل الجهادي الرأهن لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ارتبط بلحظة عنيفة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.

ورأت مجموعة الباحثين العرب الذين شاركوا في كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. الإعلام والنصوص»، الصادر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود، أن التأويل الجهادي الرأهن لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ارتبط بلحظة عنيفة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.

لكن هذا الأمر لن يتأتى لنا إذا لم نتجرأ على تحرير هذا المبدأ من سجن معركة الاستيلاء التي تمارس عليه، تماما كما تمارس على كل الإسلام من قبل دعاة الجهاد الإسلامي. ولئن يلوح منطقيًا وشرعيًا أن يجد هذا الطموح بعض المعارضة من قبل موافق ذات منطلق إسلامي، تبعاً للاختلاف الضروري في المرجعيات وزوايا النظر والحق في التأويل، فإن المشكلة أن هذه القوى القوية الإسلامية المتطرفة تتمسك، بمقتضى الحق نفسه في الاختلاف والتأويل، بفهم حربي قتالي لهذا المفهوم ينسف التعايش من أساسه.

وأكد الطريقي أن المشكلة تكمن في أن الموقف الجهادي المتصلب المعاند لا يصدر من فراغ، إنما هو موجود في التراث بصفة عامة، ما يؤسس موقفه على أسس جدالية تقنع الكثير من معتنقي الإسلام بصحة تأويلهم. وفي هذا السياق يصح تقرير رضوان السيد أن سلوك الإسلاميين المتشددين في العصر الحاضر هو، في وجه منه، عودة للزبط بين الجهاد ومبدأ الأمر بالمعروف. وعلى الرغم من إدانة الأعمال العنيفة من قبل هؤلاء المسلمين أنفسهم، فإن مشاعر التأييد المضمرة عند أغلبهم، قد تحول بعضهم إلى جنود احتياط في انتظار التاهيل.

وتبعاً لهذا تصبح محصورة هذا الفكر المتشدد في شأن هذا المبدأ محاورة على التأويل وشروطه، قد يكون أول مضامينها بيان تاريخية تأويل هذا المفهوم في كامل الفكر الإسلامي قديمه